

الخضوع والاستسلام لله

هل أنت خاضع ومستسلم لله عز وجل!؟

نظرة إلى حقيقة ما نقول.. وحقيقة ما نفعل..

ما هو الخضوع والاستسلام الذي يريده الله منا؟

ما هو موقف الناس من هذه القضية الهامة!؟

أنتم الفقراء إلى الله..

الحمد لله وحده.. والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. محمد صلى الله عليه وسلم.. وبعد.

هل أنت خاضع ومستسلم لله عز وجل!؟

لقد اعتاد كل من يسمع هذا السؤال تقريباً، أن يجيب في التوّ واللحظة: نعم أنا خاضع ومستسلم

لله عز وجل.. ثم يتعجب في نفسه ويقول: هل هذا سؤال يحتاج إلى بحث أو جواب!؟

نعم إنه سؤال مهم وخطير يحتاج إلى بحث وجواب، فلينظر أحدنا إلى حقيقة إجابته من أنه خاضعٌ

ومستسلمٌ لله سواءً في اعتقاده أو أقواله أو أفعاله.

نعم: يا من تتعجل الإجابة على السؤال وتقول مسرعاً: نعم أنا خاضع ومستسلم لله عز وجل!! هل

نظرت إلى حقيقة ما تقول!؟ وهل إجابتك المتسرفة هذه تعكس حقيقة ما تعتقده أو تقوله أو تفعله؟

نظرة إلى حقيقة ما نقول.. وحقيقة ما نفعل..

أيها القارئ العزيز: قل لي بالله عليك!!

- كيف أعيش وأنا لا ألتزم بما يأمرني الله به وينهاني عنه في: بيتي وعملي وفي الشارع ومع الأقارب والجيران ومع أهلي وأصدقائي؛ ثم أقول: أنا خاضع ومستسلم لله!
- كيف أعيش في مجتمع لا يقيم شرع الله ولا أستنكر الحياة فيه ولا أحاول تغييره؛ ثم أقول أنا خاضع ومستسلم لله!
- كيف يمكن أن يتصور المسلم أنه يستطيع أن يخالف تعاليم ربه فيغش ويكذب أو يخون ويخدع، ويتجاوز المتاع المباح إلى المتعة المحرمة، ويقبل المال الحرام، ولا يغار على زوجته أو إحدى بناته وهي تخرج سافرة تحت شعار الموضة وتقاليده المجتمع، ثم يكون قاسياً في تعامله مع والديه، ويتصور بعد ذلك كله أن يضع ركعات في النهار، وصدقة يضعها في يد مسكين، يمكن أن تسقط عنه تبعاته أمام الله؛ ثم يقول: أنا خاضع ومستسلم لله!
- كيف يمكن أن تتصور المرأة أنها تستطيع أن تخالف تعاليم ربها، وتحقد وتغتاب، وتخرج عارية تعرض فتنها في الطريق وتقصر في حق زوجها، وتهمل في تربية أولادها، بحجة أنها امرأة عاملة، فالمرأة نصف المجتمع، ثم تظن بعد ذلك أن النية الطيبة في داخل قلبها يمكن أن تسقط عنها تبعاتها أمام الله؛ ثم تقول: نعم أنا خاضعة ومستسلمة لله!
- كيف تحول مفهوم الخضوع والاستسلام لله.. من طاعة كاملة لله.. وخضوع شامل في كل اتجاهات الحياة.... يشمل الشارع والبيت والرجل والمرأة والحاكم والمحكوم والأسرة والمجتمع والعواطف والسلوك والدنيا والآخرة.....

كيف تحول هذا المفهوم لكي يصبح فقط مجرد شعائر تعبدية .. وحين يسألنا أحد: هل أنت خاضع ومستسلم لله؟! نخمش وجهه ونقول في تهكم: إننا نقول لا إله إلا الله ونصلي ونتصدق ونصوم رمضان بل ونحج إلى بيت الله الحرام!!

● يا إله العالمين.. كيف تغير وتحول مفهوم الخضوع والاستسلام لله عز وجل في نفوس الناس إلى هذا الحد؟؟

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

ما هو الخضوع والاستسلام الذي يريده الله منا؟

نعود إلى موضوعنا.. لنعرف ما هو مدلول الخضوع والاستسلام لله عز وجل.. كما يحبه الله ويرضاه؟

1- لا يخفى على أحد منا أن الإسلام هو شهادة: (أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله).. وأن الإيمان يقين بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح.

فالجزء الأول من الشهادة يتمثل في الخضوع والاستسلام لله وحده بلا شريك.. أما الجزء الثاني فهو التلقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كيفية هذا الخضوع وذلك الاستسلام.. والذي لا يتحقق في حياة الفرد أو المجتمع إلا بهذين الجزأين معاً.

فأركان الإسلام و الإيمان كلها تقوم على هذه الشهادة بشطريها معاً.. فالإيمان بملائكة الله وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وكذلك الصلاة والزكاة والصيام والحج، ثم الحلال والحرام،

والمعاملات والتشريعات والتوجيهات الإسلامية كلها، إنما تقوم على قاعدة الخضوع والاستسلام لله وحده، وبشرط أن يكون المرجع في هذا الخضوع وهذه الطاعة.. ما بلغه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العالمين؛ فالعمل لا يكون مقبولاً إلا إذا كان: خالصاً صواباً.

خالصاً: فهو من الله وإلى الله فلا يبتغي به إلا رضى الله، صواباً: فهو كما بلغه لنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

إن الله تعالى هو "الإله الواحد" لا شريك له في وحدانيته.. وهو سبحانه "الخالق" لا شريك له في الخلق.. وهو سبحانه "المالك" لا شريك له في الملك.. وهو سبحانه المتصرف في ملكه.. العليم الخبير بخلقه.

إذاً: فالخالق لكل شيء، المالك لكل شيء، المتصرف في ملكه، العليم الخبير بخلقه، هو وحده صاحب الحق في وضع المنهج الذي يرتضيه لملكه وخلقه.. وهو وحده الذي يجب أن يطاع فيما ارتضاه لملكه وخلقه.. ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾.

فهل هذا أمر غامض ومعقد؟! أم هو أمر سهل وبسيط؟! إنه حقاً أمر واضح لا يغيب عن فهم أي إنسان.

إن الله سبحانه.. هو وحده الذي يضع المنهج المناسب لحياة الإنسان ونظام المجتمع.. لأنه سبحانه هو الإله الواحد بلا شريك ولا يكون الإنسان خاضعاً ومستسلماً لله.. إلا إذا آمن والتزم بالمنهج الذي وضعه الإله الواحد لحياة الإنسان ونظام المجتمع.. ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾.

فعندما أقول أنا خاضع ومستسلم لله عز وجل فحقيقة هذا القول: أنا أعبد الله وحده بلا شريك وأطيعه وحده في كل شيء، فلا أفرق في هذه الطاعة بين العقيدة والشريعة والشريعة فكلها من عند الله.. وهذه الطاعة الكاملة لا آخذ بكيفيتها إلا كما بلغها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله. لا يخفى على أحد منا كل ما سبق.. ولكن يخفى على كثير منا أن الحكم بما أنزل الله وحده دون سواه.. من أهم مظاهر الخضوع والاستسلام لله عز وجل.. ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.. فالله عز وجل لم يأذن بالحكم والتشريع لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل.. حتى طاعة الرسول فهي ليست طاعة لشخصه.. وإنما لأنه مبلغ عن ربه.

لذلك تصف الآيات القرآنية الذين لا يحكمون بما أنزل الله بأنهم هم الكافرون.. الظالمون.. الفاسقون.

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ، وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ، وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ، وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

فالسباق القرآني ينص نصاً على وجوب الحكم بما أنزل الله وحده دون سواه.. وإلا فهو الكفر والظلم والفسق.

من أجل ذلك فإن الأمر جد خطير.. لذلك قلنا في البداية أن سؤالنا: هل أنت خاضع ومستسلم لله، سؤال مهم وخطير!! فإن رفض شرع الله في أمر صغير، هو هو في الأمر الكبير سواء، فشرعية الله كل لا يتجزأ.. فكلها في مجموعها تكون المنهج الرباني الذي ارتضاه الله لمن يؤمن به ويقول: أنا خاضع ومستسلم لله.. وهو يعلم تماماً حقيقة ما يقول.

ولذلك فإن الخروج عن هذا المنهج الرباني في أي جزئية منه، كالخروج عليه كله، إنه خروج من هذا الدين.. ويرجع هذا إلى أن رفض شيء من شرع الله، أو عدم الرضى بشيء من شرع الله، أو استبدال شيء من شرع الله بشرع من صنع البشر..... فكل ذلك ليس له إلا دلالة واحدة.. إنه اعتداء على سلطان الله في الأرض، ورفض ألوهيته.. وهذا معناه بكل وضوح: الخروج من دين الله: الخروج من الطاعة والخضوع والاستسلام لله عز وجل.

ما هو موقف الناس من هذه القضية الهامة؟؟

وهنا فلا قيمة لمن يقول بلسانه: نعم أنا خاضع ومستسلم لله، مجرد أنه ينطق بالشهادتين دون أن يدرك معناها ومدلولها الصحيح، ودون أن يراجع موقفه من هذه القضية الهامة، ودون أن يتوقف مع نفسه ويتساءل:

- هل أنا مستسلم وخاضع لشرع الله ونظامه أياً كانت تفصيلاته، لا لشيء سوى أنه من عند الله مالك الملك والملكوت.

- هل أتعامل مع دين الله دون أجندة سابقة، وكلما هممت بأمر ذهبت إلى منهج الله من خلال كتابه وهدى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم لأعلم حُكْمَ الله فيما هممت به.. وأعمل بما يقضى به سبحانه في سعادة وطمأنينة.
 - هل أنا على يقين أن دين الإسلام هو الطريق إلى الآخرة والفوز بالجنة.. وهو هو نفس الطريق لتحقيق الفردوس في الأرض منهاجا متفردا وحده دون سواه، لذلك أسعى لتطبيقه في حياتي العامة والخاصة، ولا أَرْضَى به بديلا في هذا المجتمع.
- هذا هو الخضوع والاستسلام لله عز وجل.. وهذا هو حقيقة قولنا: أنا خاضع ومستسلم لله!! فليُنظر كل واحد منا أين هو من هذه الحقيقة؟! أين هو من الخضوع والاستسلام لله!؟

أنتم الفقراء إلى الله..

إن الله تعالى غني عن العالمين.. وليس بحاجة إلى طاعة عباده.. أو أن يخضعوا لدينه ويستسلموا لمنهجه.. وإنما هذا من تمام نعمته سبحانه على عباده.. ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾.. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال تعالى: {يا عبادي.. لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي.. لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا} رواه مسلم.